السعادة الحقيقية

تأليف

الشيخ العلامة

أبي إبراهيم

محمد بن عبد الوهاب الوصابي العبدلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك لـــه وأشهد أن محمداً عبده ورسولـه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً أما بعد:-

فيا أيها الإخوة في الله : اعلموا وفقني الله وإياكم لما يحبه ويرضاه:-

أن السعادة والفوز والفلاح إنما هو في هذا الدين، أما بدون الدين وبدون الإسـلام وبدون التمسـك بالكتـاب والسنة فـلا سعـادة ولا فـلاح ولا فوز ، فإن الفوز الحقيقي والسعادة الحقيقية في التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله .

أما الدنيا وإن ظن أهلها أنهم في سعادة فهي سعادة وهميَّة غير حقيقية ، لأن السعادة الحقيقية هي التي تبقى معك وتتصل معك في الدور الثلاث :

في دار الدنيا ، وفي دار البرزخ ، وفي الدار الآخرة .

هذه هي السعادة الحقيقية ، أما الدنيا فسعادتها سعادة وهمية لأنها تنقطع وتزول وتنتهي ، ففرحة تنقطع هذه الفرحة غير الفرحة التي تدوم وتستمر لهذا قال الله عز وجل :-

(قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) (يونس:58)

" قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ " أي : بالدين والإيمان والكتاب والسنة ، وطاعة الله

وبالعمل الصالح وبطلب العلم " فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ " فقوله – هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ – أي من حطام الدنيا الفاني .

إذاً : فقد وجهنا الله – عز وجل – ودلنا وأرشدنا إلى الذي ينبغي أن نفرح به هو الدين ، تم بيَّنَ أن هذه الدنيا لا يفرح بها العاقل ، كيف تفرح بشيء أنت مفارقه أو هو مفارقك ؟

إذاً هذا شيء لا يُفرح به ، مهما ملكتَ ومهما جمعتَ من أمور الدنيا وحطامها ومهما بنيت القصور العالية فلا بُدَّ لك يوماً من الأيام أن تفارقها .

إذاً : هذه ليست السعادة ما دام أنك ستفارقها أو ستفارقك !! .

فابحث عن السعادة الحقيقية التي لا تفارقها ولا تفارقك ، بل تظل سعيداً في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة ، لهذا قال سبحانه وتعالى : (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ) . (الانفطار :13)

قال ابن القيم – رحمه الله – كما في مدارج السالكين والجواب الكافي :-

(هم في نعيم في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة) انتهى كلامه .

فالمؤمن في نعيم في الدنيا : { يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي } . (الفجر 27– 30) .

نفس مطمئنة في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة .

ومن أين جاءها الاطمئنان ؟

بالإسلام والإيمان والإحسان والقرآن ، هذه هي النفس المطمئنة ، رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ صلى الله عليه وعلى آله وسلم نبياً ورسولاً .

فأنت لا تظن أنها ما صارت مطمئنة إلا عند الموت فقط ؟

لا ، بل هي مطمئنة من قبل ذلك ومن بعد ذلك .

وبأي شيء اطمأنت ؟!!

هل تظنون أنها اطمأنت بكثرة الأموال ؟ الجواب ، لا .

إنما اطمأنت بالدين ، أما الدنيا فهي حطام زائل ، قليله وكثيره ، وكل شيء منها زائل ، كما قال الله تعالى :-

{ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ) . (النحل: من الآية 96).

أي الذي عندك من حطام الدنيا سينتهي لا محالة اليومَ أو غداً ، والذي ستقدمه بين يديك عند الله هو الذي سينفعك وسيدوم .

فمن الخطأ الكبير أن تظن أنك في سعادة وأنت في الحقيقة بعيد عن السعادة ، فلا تكون في سعادة إلا إذا تمسكت بالدين ، أمَّا في أكل وشرب وضحك وقيل وقال وسخرية ومهزلة ، هذه ما هي سعادة ، هذه تعاسة ، إيش من سعادة إذا مات وصار في القبر عُـذِّب وضُـرب بمرزبة من حديد من نار جهنم !! ؟

إيش من سعادة ؟

سعادة أنه عنده فلوس ؟!! أهذه سعادة ؟

ثم هذه الفرحة الدنيوية تعقبها حسرات ، آماد طويلة وأحقاب مديدة ، فالعاقل يا إخواني في الله : ماذا يصنع بساعة يفرح فيها ثم يحزن ساعات طويلة !! ؟

إنما العاقل الحقيقي هو الذي يوطن نفسه بأن يكون سعيداً أبد الآبدين ، وسعيداً أبد الآبدين لا يكون إلا بالدين .

وانظروا الفترة ما بين الخروج من الدنيا والإقبال على الآخرة في وقت السكرات ، لَّما كان المؤمن من السعداء ومن الصالحين ومن الفائزين ، في ذاك الوقت الحرج يرسل الله تعالى لـه ملائكة يطمئنونه لا تخف ، لا تحزن أنت سعيد ، أما هذا المرض وهذا النزع فلا تقلق منه ، فالسعادة هي متواصلة لك في دنياك وفي الحياة البرزخية وفي الآخرة { يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً } يأتي ملك الموت فيقول يا أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى رضوان من الله ورب غير غضبان .

{ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ } .

(فصلت : 30 – 31) فتتصل السعادة من الدنيا إلى البرزخ إلى الآخرة ، في هذه الفترة – فترة النزع وسكرات الموت – يرسل الله لـه ملائكة يطمئنونه وينادونه يا أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي إلى رضوان من الله ، فالعاقل يا إخواني في الله هو الذي يبحث عن السعادة التي لا تنقطع ، أما الذي يقول بأنه يشعر بالسعادة حين يشرب الدخان أو يأكل القات أو الشَّـمّـة فهذه سعادة وهميَّـة ، أو يشعر بسعادة حين يكون جيبه مليئاً بالفـلوس ، فهذه سعادة وهميَّـة ، أو يشعر بسعادة حين يكون صحيحاً من العلل فهذه سعادة وهميَّـة ، السعادة الحقيقية في الإيمان والعمل الصالح ، حتى لو جاءك المرض تستلذ به لأنك أنت سعيد بهذا الدين وأنت راضٍ عن الله والله راضٍ عن المؤمن ، ونفسك مطمئنة

بالإيمان ومقتنعة وراضية به ، فإذا جاءك المرض تقول : أنا عبده وهو ما أرسل لي هذا المرض إلا ليسعدني ، ويفرحني ويرفع درجتي ، وإن مات كان سعيداً ومات وهو راضٍ عن الله { قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ } . (الأنعام 162 – 163)

فالسعادة التي نبحث عنها لن نجدها إلا بالإسلام بالإيمان بالإحسان ، بالتمسك بكتاب الله وبسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، بالمحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها ومعالجماعة ، بقراءة القرآن وتدبره والعمل به والتمسك به ، بقراءة أحا ديث الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

فيا أيها الحاضرون :- إن كنا حقاً نبحث عن السعادة الحقيقية فهي والله لا توجد إلا بالتمسك بالدين ، وفي الإيمان الصحيح والعمل الصالح ، أما أن تجد وتكد وراء الدنيا وتبحث عن السعادة وتضيّع السعادة الحقيقية ، فهذه والله مصيبة .

بعض الناس غير مبالٍ بالجنة ولا بالنار ولا بالإيمان ولا بالعمل الصالح ، وهمّه الوحيد التوسع في الدنيا ، يا سبحان الله ! أما تعلم أن هناك أناساً جمعوا أموالاً كثيرة ثم جاءهم الموت والأموال تلك موجودة ، هل استفادوا منها ؟ !!!

فارقوا الحياة !!!

يصبح الواحد منهم يتمنى الحسنة الواحدة ويتمنى العمل الصالح ويطلب من الله الرجعة { رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا } . (المؤمنون 99 ، 100)

يطلب الرجعة من أجل ماذا ؟

من أجل أن يعمل للسعادة الحقيقية ، كان يكد ويكابد للسعادة الوهميَّة التي يخيل إليه أنها سعادة وليست بسعادة ، انظر إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وإلى الصحابة رضي الله عنهم لما عرفوا زوال الدنيا وحقارتها وعرفوا قيمة الآخرة وعلو منزلتها ما بالوا بالدنيا بل اتجهوا يعملون للآخرة ، هل فتحوا الدكاكين والمعارض والمستودعات والمؤسسات والمصانع والفنادق من أجل الفلوس ؟ كما هو حال الناس اليوم - إلا من رحم الله - !!!

من الصباح إلى المساء وهم يكرون ويكدون ويكابدون الدنيا - إلا من رحم الله - ومن المساء إلى أن يأتيه النوم وهو يفكر في الدنيا - إلا من رحم الله - وعند أن يستيقظ فَهَمّه الدنيا - إلا من رحم الله - .

الصحابة ما كانوا هكذا ، كان همهم الآخرة ، أما الدنيا فبالتي هي أحسن ، ألم يربطوا الحجارة على بطونهم وما بالوا بالدنيا إذا نقصت ؟ !!!

لكن الآخرة الناس اليوم عكس الصحابة تماماً فيها - إلا من رحم الله - إلا النادر ، إقبال على الدنيا بحثاً عن السعادة !

أي سعادة هذه ! ؟ إنها سعادة وهميّة ، أما السعادة الحقيقية التي في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة فهي في الإيمان وفي تقوى الله وفي التمسك بالدين (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) (يونس: 58) .

ولما قال الله " فبذلك فليفرحوا" هل اليوم هناك من يفرح بفضل الله وبرحمته وبالإسلام وبالإيمان وبالإحسان وبالصلاة وبالقرآن وبالزكاة وبالصيام وبالحج وبالدين - إلا من رحم الله - وقليل ماهم لكن بعضهم يفرح بالفلوس ويفرح

إذا كان عنده قات ويفرح إذا كان عنده باكت دخان ويفرح إذا كان عنده سيارة أو عمارة أو مزرعة أو دكان أو طاحون ، أما الدين ما يفرحون به – إلا من رحم الله – !

الله المستعان !!! الله يقول " فبذلك فليفرحوا " وأنت ما تفرح بالدين ؟ !!!

كيف يفرح بشيء ليس هو في حياته – إلا من رحم الله – كيف يفرح بالدين والدين ليس موجوداً في حياته – إلا من عصم الله – الموجود في حياته هو الدنيا منذ أن يقوم من نومه وإلى أن يعود إليه ، هو فرحان بها ، أما أنه يفرح بالدين فأين الدين من حياته – إلا من عصم الله – .

الطيب فيهم الذي يصلي ينقرها نقراً – إلا من رحم الله – ينقرها نقراً ويصلي بجثة بدون روح ، بدون قلب ، بدون عقل ، عقله في البيت ، عقله مع المدعة ، مع التلفزيون مع الفيديو ، مع الدّشّات ، مع النساء ، مع الفلوس – إلا من رحم الله – فهل من راحم لنفسه ؟ !

إذا لم ننتبه على أنفسنا ، ونُقبل على الله – عز وجل – وإلا سوف تنتهي الأعمار في غير منفعة ، قال الله عز وجل :-

{ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ } . (فاطر : 37) .

يبكون ثم يبكون ثم يبكون ، كما قال الله عز وجل :-

{ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ } . (الزخرف 77 – 78) .

يتمنون الموت في جهنم ولا العذاب فيقال لهم (أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ) أولم نعمركم أي : في الدنيا ، فلم تنتفعوا لا بالكتاب ولا بالسنة ولابهدي السلف { فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ } وكم الذين يقرؤون قول الله عز وجل :-

(وَالْعَصْرِ إِنَّ الْأِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ). (سورة العصر) .

لكن هل تدبروا هذه الآيات رجالاً أو نساءً (إلا من رحم الله) ؟

حكم عليك بالخسارة إلا إذا قمت بهذه الشروط :-

1 – الإيمان الصحيح .

2 – العمل الصالح .

3 – التواصي بالحق ، لا بالبدع ولا الباطل .

4 – التواصي بالصبر .

الآن يوصي بعضهم بعضاً بالباطل – إلا من رحم الله – فيقول له أوصيك لا تصدق المطاوعة أوصيك لا تمش مع المطاوعة ، يا الله سَلّم !!! أهذه وصيتك ؟ ! أو يقول له لا تترك القات أو الدخان – يعني واصل – ، أو لا تُطلِق لحيتك ! كم الآن من تواصٍ بالباطل ، وقَل أن تجد من يقول أوصيك بتقوى الله وبالتمسك بالدين ، أوصيك بالصلاة أوصيك بالصيام ، أوصيك بطلب العلم ، أوصيك بالزهد في هذه الدنيا ، أوصيك بذكر الله ، بقيام الليل ، بصلاة الضحى ، بصلاة الجماعة ، وصَدق رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذ يقول :-

« بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريبا ، فطوبى للغرباء » .

رواه مسلم عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما رقم (145 ، 146) .

الآن غربة عظيمة ، الحق غريب عند أهله ، فالله الله يا عباد الله : يا من تريدون السعادة الحقيقية ، فالسعادة الحقيقية في التمسك بهذا الدين ، في الإقبال على الله ، في عبادته وطاعته واللجوء إليه وليس فقط في شهر رمضان ، وليس فقط في أيام العشر ، وإنما دائماً تُـقبـِل على الله ، ودائماً تكون مستعداً للقاء الله ، الموت يأتيك في الليل أو في النهار ، في الصباح أو في المساء ، وأنت قائم أو قاعد أو مضطجع ، في أي حالة يأمر الله ملك الموت أن يقبضك عليها فيكون كما أراد الله تعالى ، قال جل جلاله :-

{ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } . (سورة الجمعة : 8) .

فهل أعددت لتلك الحياة ؟ وهل أنت مستعدٌ للقاء الله ؟ وهل أنت مستعد للعمل الصالح ؟ وإلا أنت مستعد للدنيا فقط أما للدين والآخرة فما عندك استعداد ؟!!!

فـعلاً بعض الناس ما عنده أي عمل صالح إلا الشيء اليسير ، وصحائف أعماله ملطخة بالآثام والهمز واللمز والسب واللعن والشتم وحلق اللحى ، وشرب الدخان وأكل القات ، وكذب وغيبة ونميمة ، وعقوق وقطيعة أرحام ، وأغاني وملاهي ،

فيا سبحان الله ، أين أنت ذاهب ؟ !!

أنت ذاهب إلى الله ، وواقف بين يدي الله ، والله سيسألك عن هذه الأعمال ، فإذا بك تنادي على نفسك بالويل والثبور .

فعلينا أن ننتبه لأنفسنا من الآن ، وأن نتقي الله من الآن ، وأن نستعد بالعمل الصالح من الآن ، وأن نفتش عن أعمالنا من الآن ، فما كان منها موافقاً للكتاب والسنة ثبتنا عليه ، وما كان منها مخالفاً للكتاب والسنة تركناه ، وتبنا إلى الله منه ، وأقبلنا على إصلاح أنفسنا وعلى مجاهدة أنفسنا ، وعلينا أن نراقب الله في أعمالنا ، نسأل الله عز وجل أن يوفقنا وإياكم وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه ، وأن يثبتنا وإياكم وجميع المسلمين على الكتاب والسنة.

وإلى هنا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

❊ ❊ ❊

انتهت كلمة بعد صلاة الظهر في قرية بيت الغبـّان ببني حطام